بوڤار
بيت الأدب

ENASS GAMAL

محمد عبد الكريم عيسى

قصة
قصيرة

إيرلندا
(وترفورد)

إيرلندا

(وترفورد)

محمد عبد الكريم عيسى

بوڤار
بيت الأدب

نوع العمل : قصة قصيرة

الكاتب : محمد عبد الكريم عيسى

تصميم الغلاف : إيناس جمال

تصميم داخلي : المشرقة

تعبئة وتنسيق : المشرقة

فريق عمل بوڤار" بيت الأدب " للنشر الإلكتروني

https://www.facebook.com/DarBovaar

الاهداء :

لكِ

ويطول بعمرك

بوڤار
بيت الأدب

بوڤار
بيت الأدب
Bouvar

أنا أيضا عبرت ذلك الجسر

أوقفت سيارة الأجرة مستخدمًا إبهامي ، توقف السيارة فور رؤيتي أشير إليه ، صعدت على متنعه ، .قلت للسائق بالإنجليزية مبتسمًا

– مرحبا !

– رد فورٍ مرحبا

قلت له و أنا أمعن النظر إلى ثيابه الشعبية أريد الذهاب إلى فندق مارينا

اومأ رأسه ثم أدار محرك سيارته ثم تحركنا صوب مارينا؛

لطالما حلمت بزيارة إيرلندا من قبل ، و بالأخص مدينة وترفورد: الآن أنا في قلب وترفورد ، أجول بين شوارعها ، مستمتعًا بأزقاتها أشاهد المارين وإلى المباني القديمة ، ذاهب إلى أجمل الفنادق في وترفورد (مارينا) وترفورد جميلة جدًا ، مدينة شعبية لا يقل عن لندن أو برلين

بوقار بيت الأدب

أو باريس أو نيويورك، وترفورد مثله مثل كل هذا المدن ، تتمتع بمناح رائعة وفي موقع إستراتيجي ، أناسه مبهجون ترى البهجة في وجوههم. مررنا بقرب من شاطئ وترفورد ، كان السائق يقود السيارة بسرعة متوسطه ، لم نتحدث قط ، أثناء الطريق ، انا أكتفيت بمشاهده المناظر الخلابة تارة و تارة شاردٍ في الشوارع و ألقى نظرة بين حشود المارين وهو بدوره ، كان يستمع إلى أغنية شعبية إيرلندي ، من مسجله سيارته ، لم أفهم معاني الكلمات الذي يتغنى بها المغني ولكن أتضح لي بأنه أغنية ذات طابع كلاسيكي، خيل لي من تأثيره في شخصية السائق؛ وأتضح لى بأنه الأغنية من عهد عصر النهضة ، كان منسجم مع المعاني ، حتى يهز رأسه بين الحين و الآخر إنحرفت السيارة نحو اليمين ثم سار في خط مستقيم حتى توقف أمام مبنى

بوڤار بيت الأدب

كبير وعلى حوله مباني جميل متلاصق على إمتداد حتى نهاية الشارع نحو زاوية في منعطف اليمين .

أخيرًا وصلت إلى فندق مارينا ، إن الصعود على متن سيارة أجرة و سائقة ذات طابع تقليدي إنه أشبه بالمكوث مع حكيم صيني عاش في قرن السابع قبل الميلاد ترجلت من السيارة دفعت له ثمنه شكرت رسم إبتسامة على أركان فمه ثم أدار محرك سيارته و غادر .

ثمة هناك أمرٍا غريب يحدث لي ، لماذا لم يتحدث معي ، أهو أبكم!؟ أم أصم! هززت رأسي متعجبًا ، ثم أنصرفت داخل الفندق .

إستقبلني موظفه الإستقبال بحفاوة ، سارع أحد الموظفي بحمل حقيبتي الصغيرة، حجزت إحدى الغرفة (غرفة رقم 508) في الطابق قبل الأخير ، شكرتها على حسن الإستقبال ، إبتسمت لى إبتسامة من عمق أضَراسها البيضاء المنتظم، إنها إبتسامة إيرلندية: إن طريقة

بوڤار بيت الأدب Bouvar

الإستقبال في مارينا تجعلك تشعر براحه تامة، تشعر كأنك ولدت بينهم أقصد كأنهم يعرفونك منذ فترة طويلة ، لقد شعرت بأن هناك معرفه تربطني مع موظفهُ الإستقبال ، كانت تتحدث معي وكأنها تعَرفني منذ عقود مضى.

هرعت وراء الموظف الذى يحمل حقيبتي ، قبل أن نصعد على متن المصعد رجوت منه بأن أكمل الطريق لوحدي وأنني لا أريد أن أشغله عن عمله ثم قال بصرامة إن هذا هو عمله، وأن كل زائر.جديد يرافقه حتى غرفته صعدنا المصعد ، كان هناك شخصان سارعوا في الصعود قبلنا .

الصمت يعم أرجاء المصعد كان الشخص الأول يرتدي بدلة سوداء أتضح لى بأنه ألماني ، نعم إنه ذات كاريزما ألمانية شعره أشقر ، حتى

بوڤار بيت الأدب

جشده ، الرجل الألماني من أكثر الرجال الذين يهتمون بالاناقة و الرقى ، أنهم مثاليين دائمًا

و الآخر برازيلي! لا إنه يشبه برتقالي، حدقت إليه كي أكسر موجه شكوكي ولكن تيقن بأني أنظر إليه حتى حملق علىّ من طرف عينيه ، رفعت بصري عنه ، خدعته بأني أشاهد سقف المصعد: دائماً أستطيع الهرب من مثل هذا المواقف

لا توجد فارق كثير بين البرتقاليون و البرازيليون ولكن هناك ثمة فارق بسيط: البرتقالين لديهم كرزيما فري منوعه و هم متمسكون دائمًا بأشد التفاصيل عكس البرازيلين يتهاونون كثيرًا: ربما يتحدثون نفس اللغة ولكن الجينيات و الكازيما تختلف .

قاطع تفكيري توقف المصعد هم الموظف بالخروج، ثم إلتحقت به: أما الشخصان فواصله الصعود إلى الطابق الآخر كان الموظف قصيرًا

إلى حد ما ، دائمًا مبتهج يبتسم في وجه كل شخص نقابله ، إلى أن وصلنا إلى سعينا؛ وقفت أمام الغرفة (508) ، شكرته على حسن الإستقبال و الضيافة ، إبتسم إبتسامته المعتاد، حيان بتحية مال رأسه إلى أسفل واضعًا يديه في صدره، وبعدها أنصرف ، بعد أن تمنى لى ليلة سعيدة ولو كنت أحتجت شيءً فهو تحت أمري .

دخلت الغرفة، إنه فائق الجمال، تطلع شُرفة نافذته على البحر ، وهناك رصيف ، بها كتب و رصيف آخر بقربها بهاأواني مزخرفة ، ولوحه فنية رائعة في وسط الجدار التىّ مطلي باللون البني الداكن؛ اللوحة عبارة جندي على متن فرسًا الذي رفع ساقيها الأمامية إلى الأعلىّ تخيلت بأنها (تصَهِل) و الجندي بدوره يحمل عَلم إيرلندا؛ خيل لى هذا اللوحة من وحي الحرب العالمية الأولى أو الثانية؛ أعجبني اللوحه لأن الجندي كان في غاية.الشجاعة و الهيبة

بوڤار بيت الأدب

ألقيت بجسدي المنهك ، في السرير لقد شعرت و كأنني في نعيمٍ أشبه ، بنعيم الجنة ، شعرت براحه تفوح ربوع جسدي أكاد أسمع صوت طقطقة ، عمودي الفقري ثم.نمت نومًا عميق

إستيقظت على صوت طرق الباب ، هرعت إلى حمام حتى أغسلت وجهي ، ثم هرولت نحو الباب أمعنت النظر من الثقب الصغير، رأيت الموظف القصير صاحب الابتسامة المبهجه ، حتى إنه يبتسم قبل أن أفتح له الباب:

فتحت الباب على ابتسامته الشارقه ، وجه شبه دائري جبينه ساطع ، حاجبه كثيف كالغابات الأمزون خديه ممتلئ كان يحمل معه بعض من الطعام و الشاي في قائمة صغيرة ، شكرته مرة أخرى على حسن الضيافه إبتسم وقال:

– على الرحب والسعة ثم أنصرف

بدأ لى أن هناك سرًا وراء إبتسامته الدائم ، خيل لى هو هكذا أو إنه ولد مبتسمًا أيعقل أهناك شخصًا يولدمبتسم إنه هراء" قلتها وأنا أعود أدراجي؛ بعد أن تناولت الطعام ، إستحممتت؛ يا له من حمام مريح ثم فجأة تذكرت السودان وإنني كيف نفيت منها .

أنا صحفي أنقل الخبر بكل مصداقية ولكن هناك من لا يريد أن أنقل الحقائق المخفية؛ أنا إنسان أحب الصدق أحب أن يعلم

كل المجتمع على ما يحدث في بلادي؛ ولكن هناك جهاتفي الحكومة تريد نشر الأخبار الزائفة التىّ ولا أساس لهمن الصحة؛ في قاع المجتمع هذا المجتمع عليك أنتكون حقيرٍ أو ظالمًا كي تعيش بكل رفاهية؛

هم يريدون فقط أن تفعل ما يتحدثون عنه، الأمر أشبه.بى أفعل كذا أو أنشر كذا أو لا تنشر كذا مهنة الصحافة هو أن تعمل حرًا تنقل

بوفار بيت الأدب

بكل مصداقية وسرعة في العمل ودقة في المعلومات هذا ما أعرفه ولكن هناك الصَحافه في يد الحكومة وهذا ما لا أريده،

تم توقفي من العمل عد مرات حتى تم فصلي من العملثم عملت كصحفي مستقل، ولكن في ما بعد إستشعرو بخطري حتى تم اعتقالي عد مرات ثم نفيت بعدها من الوطن .

أثناء خروجي من الفندق صَادفت موظفه الإستقبال بادرني إبتسامة ما إن لبث حتى كاد قلبي أن شق قفصي الصدري ثم أردفت قائلا (أتمنى أنك قضيت في الأمس أمسية سعيده)

أومت برأسي إيجابيًا ، ثم شكرتها و إنصرفت في الحقيقة لم أنم جيدًا ، لقد فقدت لذة النوم ، لم يكن لدي، شهوة للنوم وإنما أحتاج إلى حضن دافئ يطفى نيران قلبي الملتهب ، ثمة هناك أنثي تنتظرني بين

بوڤار بيت الأدب

أزقات هذا وترفورد ، ثمة شعور تراودني بأن اقسم لي فتاة، جميلة تستطيع أن تخرجني من جحيمي إلى جنتها .

سوف أجلس معها على شاطئ البحر و أتجول معها شوارع وترفورد و نحتسي النبيذ ، و نرقص الديسكو ونتقاسم السرير وأن أنال من أعشاش فحذيها، و أرتوي من شفتيها نعم سوف أجد نصفي الآخر هنا ، أخشى بأنه سوف تنتهي في غمضة عين .

كنت أسير في أحد أزقات وترفورد مررت بقرب من بائع الورد على رصيف إحدى المباني، ثم قصدت إحدىالكافيات ، إحتسيت قهوة إيرلندية ، طعمه مر أشبه بالنسكافيه؛ كان نصف يوم جميل ولقد إستمتعت حقًا.

رأيت إحدى المباني كان ذات طراز فريد من باقي المباني، ساقني الفضول و ترجلت بداخلها دون قرأهُ عنوانه ، إندهشت من هول

بوڤار بيت الأدب Bouvar

المنظر إنه حانه وليس سينما، كنت قد حسبت بأنها سينما حتى دخلت كي أطلع على ما بداخلها من شخصيات درامية إيرلندية ولكن شيء ما قادني إلى هنا؛ كان المكان مزدحمة جدا هناك من يرقصون وهناك من يثمل وهناك من يلعب لعبة الورقة ،قاطع بصري فتاة أقترب مني و أصبحت تحرك أناملها من أعلى رأسي حتى وجهي ومن صدري إلى بطني لا أعلم إلى أي حد تريد أن تصل ، ثم فجأة إتبعدت عنها.

ضحكت بأعلى صوتها، كان صوت الموسيقى عاليةً لذلك لم تسمعها أحد إلا أنا قد كنت بقربها .

كانت عيناها رمادية تلمع مع الإضاء الحافته ، وجهها أحمر طوبي ترتدي تنورة حمراء فخذيها عارية تمامًا صدرها شبه مكشوف شفاف

بوڤار بيت الأدب

، شفتيها وردية خديها مرن وهناك وشم على خديهُا وشم رسم بها نجمة .

ولكن ما علاقتكِ أنتِ بالنجمة، في الحقيقية أنتِ لا تشبهين النجمة ، النجمة في السماء و أنتِ في حانه وربما داعارة.

قطبت جبينها وكأنها عُلم بأنها أزمها في سري دعاني الفتاة ذات النجمة بأن أثمل معها ولكني رفضت رفضٍ قاطع، أنا أتيت إلى المكان الخاطئ، ربما هذاقدري ولكني أبحث عن شيءً آخر وما أبحثه أكثر من ما تكون هنا ، ما أبحثه حتى هنا متواجد ولكن قد تشابه ،على الألوان أنا لوني شريف أبحث عن شريف مثلي.

أمسكت بيدي توسلت إلى بأن أشرب عصير طازج قالت بأن هنا توجد عصائر طازجه و لذيذة؛

بوڤار بيت الأدب Bouvar

أمعنت النظر في بؤرة عينيها رأيت البراءة نابغٍ من جوف عيناها قلت في نفسي سوف أفعل ما تريدها حتى لا أحزن عيناهُا ، الرمادية .

جلسنا في إحدى الطاولات وسط أنظار المتجمهرين قالت بأني لا أهتم لهم: هي ذهبت بنفسها ثم أحضرت معها عصيرٍ لي و لى نفسها نبيذًا .

تلك الغلام ينظر إلى وكأنني أتيت من كوكب آخر: أنا ولدت هنا على متن الأرض: يا رجل لماذا تنظر إلى وكأنني رافدًا من المريخ، أو كرجل فضائي .

شربت من كوب العصير قليلًا بدأ لي طعمه قريب نوعًاما ثم ساقني الفضول حتى رشفت ثم رشفت ثم حملتها و شربت كلها دون توقف حتى أفرغت الكوب، وبعد برهة من الزمن، أصبحت مشوشًا نوع ما ، ثم هرجت نحو النادل ثم أخذت كأس من النبيذ شربته دون توقف .

بوڤار بيت الأدب

دخلت قاعة الديسكو ، رأيت نفسي أرقص مثل المجنون الكل أصبح ينظر إلى ، بدأو يسخرون مني ، لكمت الغلام الذي كان ينظر إليّ طيال الوقت ، سقط أرضًا ، هرول نحوي رجل مفتول العضلات ، و بحركة بهلوانية لكمته صوب صدره ولكن بدأ بأنه لم يتأثر ، صرخت في الحضور " أنا شخصٍ ثمل أنا بحاجة إلى توجيه أنا " قبل أن أكمل حديثي تلقيت لكمة قويةً في بطني ثم في عنقي ثم في صدري ، سقط أرضًا .

كنت أتلقى اللكمات واحد تلوى الآخرة ، صرخت بأعلى صوتي ولكن لم يحل الصراخ ، كنت اسمع صوت الفتاة ذات النجمة تصرخ متوسلًا تركي؛ بعدها لم أسمع صوتًا قط ، فقط سمعت صوت الألم، أحسست بأنني داخل القبر، حيث الظلام الدامس يعم أرجاء المكان ، أصرخ بأعلى صوتي أين أنا! أين أنا الآن لقد ثملت حد الثمالة .

بوفار بيت الأدب

صحوت مذعورًا خلعت عندما رأيت الفتاة ذات النجمة أمامي، كانت تضع رأسي فوق فحذيها، لم أكن واعيًا تحدثنا وقليلًا بعد أن شعرت ببعض الراحة وبدأت تبكي ، بحرقة ، حدثني عن عائلتها التى ماتوا جميعهم في حرب كوسوفو

وقد عاشت مع عمتها في معسكرات الناجين إلى أن ماتت عمتها في علة لم تمهلها كثيرًا ، قالت بأن سبل العيش في المعسكرات صعبه لذلك غادرت المعسكر .

تبقى هي فقط ، وكأنها مقطوع من شجرة لا أصل ولانسب قالت بأنها حاولت مرارة الإنتحار لكن دون ! جدوى ، حاولت ستة مرات

في المرأة الأولى عندما وقفت على رصيف إحدى الجسور في "بريشتينا" ما إن لبثت حتى أنقذها شاب في مقضى العمر يافع الجمال؛

بوفار بيت الأدب

قال لها الشاب "بأن الحياة لا تحتاج إلى كل هذا العناء ،أنسى كل ما عشتها في السابق و أصنعِ للمستقبلكِ لا تنظرِ إلى الدنيا من زاوية واحدة بل أنظرِ إليها من كل الزوايا حينها ستجد الحياة التى تحلمين بها "

وبهذا الكلمات زاد حيوية فتاة ذات النجمة (إيلويل)

قلت لها وانا أخذ لفاف التبغ من بين أناملها "أسمكِ جميل" وفي المرا الثاني؟

قالت وهي تؤول أكثر : شكرت تلك الشاب الذي زرع في نفسي بذرة الأمل وسألته عن إسمه و رقم هاتفه قال بأن إسمه (التين) وبعد برهة من الأيام رأيت في إحدى الصحف صورته وقد أرفق مع الصورة (شابًا في منتصف العشرين ينتحر بسبب التوحد) لقد حزنت

حقًا ، إنه كان ملهمي وقد إنتحر لذا قررت الانتحار و ألحق به ، في تلك العالم حيث أستطيع أحضانها و نبكى سويًا .

بعدها ، حاولت الإنتحار في البحر ولكن بعد برهة من الزمن رأيت نفسي في منزل عجوز في السبعين؛ هو من أسعفني ، شكرته وقال بأن الحياة لا تحتاج إلى كل هذا الحزن ، و العناء "أمرحي يا صغيرتي"

– ؟؟ كيف وجدتني

قلت وأنا أشاهد جرو صغير تلعب في فناء المنزل

-أنا صياد ، ظننت بأنكِ ، سمكة كبيرة ولكن لاحقا علمت– بأنكِ فتاة ، لماذا تريد الإنتحار وأنتِ ما زلت صغيرة؟؟

-لقد مات كل عائلتي بسبب الحرب .

أزرف بعض من الدموع ، ثم إحتضنني تلقيت منه دروس في الحياة ثم غادرته .

بوڤار بيت الأدب

- تبقى أربعة محاولات !

قلتها وأنا أخذ رشفة من شفتيها

– لازال بعد.!

– ؟ماذا تقصدين!

– أقصد ما زال هناك أربعة محاولات لم أقم بها.!

– لكنكِ قلتِ ستة محاولات وجه تحديد!.

- هذا ما قررته ، نفذت محاولاتان لم انجح بها و تبقى.! أربعة

– ؟.ماذا لو فشل الأربعة الأخرى!

– صمتت برهة ، وكأنها تبحث عن جواب اما انا كنت غير مهتم بهذا

فقط أريد إسكات تلك الشهوة ، نعم الشأن

فقط أريد إسكات تلك الشهوة ، نعم شهوة من العشق أو ليس عشقًا

فقط بل نوع من الجفاف العاطفي .

بوفار بيت الأدب

أصبحت يابسًا كالزرع تحتاج إلى ماء ، و انا أحتاج إلى فتاة تملئ ، صدري بالهواء ، أحتاج بأن أشعر أنني فحل ، أحتاج ملئ تلك الثغرة . لطالما كانت هذا الثغرة فارغ في حياتي الآن آن الأوان لكي إنقمص في هذا الحياة أريد أن أنال من فخذيها عنوة ، و ارتوي من شفتيها .

قالت بأن نساء كوسوفو تشعرن بشغف العيش و قسوة من الأقارب وقالت بأن رغم الحرب المأساوية إلا أن النتيجة الإيجابية هو كثرة الإسلام وهناك معدل ضحم في نسبة الوافدين للإسلام؛ تيقنوا بأن الإسلام دين السلم و السلام ، قالت بأنها تريد أن تطلع على الإسلام وأن من زمنًا تريد أن تقابل رجلًا مسلمًا متماسك بدينه مثلي

قالت : "قابلت كتيرًا من المسلمين في إيرلندا ولكن لم أرى رجل متمسك بدينه مثلكُ ، أنت مثال الرجل الصالح

إبتسمت بخبث قلت لها إذنٍ هي نذهب إلى صربيا ، بدأت تشحق ببكاء

بوفار بيت الأدب Bouvar

أحتضنها ثم قبلتها على رأسها مداعبًا ، خصلاتها " آسف"يا عزيزتي فقط كنت أمزح معكِ

كل شعب في كوسوفو تكره صربيا لأن صربيا لا تعترف بكوسوفو كدولة منذ إستقلالها في 2008 ولا تزال تعتبر كوسوفو كمقاطعة فقط لا أكثر .

ولكن في ما بعد هناك علاقة بين البلدين رغم تبادل الزيارات ولكن الشعب الكوسوفوي لن تنسى ما أزاقها صربيا من ويل الحروب .

شكرتني كثيرًا لأنني أنا كنت بمثابة رجل أحلامها كما تظن هي: أتيت بحصان أبيض إخرجتها من ظلام الليل إلى بذوغ الفجر المنير

– ماذا عنك ؟

قالتها وهي تمرر أناملها بين شعري الخشن أخذت نفسًا عميقًا " أنا ، أنا يا عزيزتي إنسان بلا وطن ، لقد نفيت من وطني وفي عز النهار ،

بوڤار بيت الأدب

لقد طردت من منزلي و الشمس في كبد السماء ، لقد غدر بي الوطن ، رغم دفاعي عنه ولكن عندما أتى وقت الشدة تخلى عني الوطن ، لماذا خنتني يا وطني ، نترنمت في ترابها الدافئ وفي مياه المقدس وفي سماءه ولدت وسط صيحات التكبير والتهليل زعمت أنني أموت،،، حيث ولدت وسط نفس تلك الصيحات ولكن أزرفت بعض من الدموع ،

ضمتني ايلول إلى صدرها وهمست في أذني "أنت وطني من الآن لقائنا ليس صدفه بل كهذا كان قدرنا، قسم لنا أن نلتقى، "أحبك يا وطني "

أنا أيضًا أحبكِ أنتِ وطني إحتويني يا وطن

نعم لقد وجدت نصفي الآخر حدسي لم يكذب عندما قال سوف أجد نصفي الآخر هنا

ايلول أسلمت و أسميتها خديجة.

بوڤار بيت الأدب